

الاسلام و حركات الفلان الاصلاحية في غرب افريقية

للدكتور مصطفى محمد مسعد

استاذ التاريخ الاسلامي - جامعة أم درمان الاسلامية

المقصود بغرب إفريقيا هنا: البلاد التي كانت تعرف قديما باسم السودان الغربي وتشمل مساحة جغرافية تمتد من مصب السنغال في الغرب الى منحنى النيجر في الشرق.

خضع تاريخ السودان الغربي - في العصور الوسطى والحديثة حتى نهاية القرن التاسع عشر - لظاهرتين عميقتي الأثر. تتمثل الظاهرة الأولى في الهجرات والغازات المستمرة لقبائل البربر، وخاصة قبائل الملمثيين على أوطان الزنوج في الجنوب. وتتمثل الظاهرة الثانية في احتكار الشعوب البدائية من أهل هذه الأقاليم بقبائل الملمثيين الوافدين، وتأثرهم بهم، واقتباسهم الكثير من نظمهم الاجتماعية والحربية. و انعقدت زعامة قبائل الملمثيين: بعد اعتناقهم الاسلام - لقبيلة لمتونة ثم جدالة. وهؤلاء كانوا حلقة الاتصال بين المغرب وشعوبه و حضارته و ثقافته، و بين المحيط الزنجي في الجنوب. وكانوا أول من نشر الاسلام في غرب افريقية.

ذلك أن غرب افريقية تأثر بموجتين، تتجلى اولاهما في تسرب الاسلام وانتشاره فيه انتشارا بطيئا استغرق حوالى سبعة قرون، ابتداء من القرن الحادى عشر الميلادى. وجاءت الموجة الثانية في أعقاب حركات الجهاد، التي اضطلع بها الفلان، في القرن التاسع عشر الميلادى (١).

Trimingham, J. S. : *Islam in West Africa*, p. 24. (١)

أما الموجة الأولى ، فكانت طلائعها من قبائل الملمثمين الذين اضطلعوا بنشر الاسلام في غرب افريقية ، عن طريق التسرب السلمى ، أو الغزو والفتح . وعلى الرغم من أن حركة المرابطين بزعامه قبيلة جدالة ، في القرن الحادى عشر الميلادى ، كانت قصيرة العمر فانهم نجحوا في ازالة اكبر عقبة كانت تحول دون تقدم الاسلام جنوبا ، فاضمحت على أيديهم مملكة غانة الوثنية ، ثم اعتنق ماوكها الاسلام وأخلصوا له ، وعملوا على نشره بوسائلهم . وتحولت غالبية شعب غانة الى الاسلام . واستطاع دعاة المرابطين أن ينشروا الاسلام على ضفاف السنغال، وفي الأقاليم الواقعة بين السنغال والنيجر . وتم في عهد المرابطين تأسيس مدينة تنبكت، وامتداد الاسلام وأخلصوا له، وعملوا على نشره بوسائلهم . وتحولت غالبية شعب غانة الى الاسلام في مدينة جنى . وغدت هاتان المدينتان السودانيان أعظم مركزين للثقافة الاسلامية ، وسوقين هامتين للتجارة السودانية على ضفاف النيجر . وفي هذه المرحلة كذلك ، ظلت الموجة الاسلامية الأولى قوية ، بيد أن موجيها لم يصبحوا من البربر ، بل من أهل البلاد الاصليين الذين اعتنقوا الاسلام ، وناولوا نصيبا من الثقافة الاسلامية ، سواء أكانوا من الزنوج الخالص ، أم من الزنوج الذين اختلطت دماؤهم بدماء البربر ، وأفادوا من خبراتهم السابقة في ميادين السياسة والحرب ، فأسسوا امبرا طوريات اسلامية واسعة ، مثل مالى ، وسنغى ، و برنو أو الكانم ، وممالك الهوسا (٢) و تتجلى في هذه المرحلة أيضا ، اتصال هذه الدول الاسلامية السودانية ، بالدول الاسلامية المعاصرة ، في مصر والمغرب والاندلس ، واقتباس بعض نظم الحكم منها ، واتخاذ اللغة العربية أداة للمراسلات الرسمية ، و تشجيع الحركة العلمية ، و تقريب

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام و الثقافة العربية في افريقية ، ج ١ ص

العلماء والفقهاء ، و بناء المساجد ، و تأسيس المدارس ، و الترجيب بالعلماء من العالم الاسلامى . فازدهرت الدراسات الاسلامية ، فى مراكز الثقافة و الجامعات ، فى تنبكت و جنى و غاؤ . كما رحل الطلاب من ممالك السودان الغربى الى مراكز الثقافة فى العالم الاسلامى فى مصر و المغرب و الحجاز (١) .

و لما كان طول عمر هذه الامبراطوريات السودانية أو قصره ، رهنا بقوة أجهزتها العسكرية ، و سلامة نظمها الادارية ، فان اصابتها بخلل ، يعرض البلاد لاغارات قبائل البربر أو الزنوج ، و القيام بنفس الدور الذى قام به سابقوهم فى بسط النفوذ و السلطان ، و المعروف أن العالم الاسلامى فى غرب افريقية عانى الاحتلال المراكشى ، الذى قضى على دولة سنغى أواخر القرن السادس عشر الميلادى . فساء احوال البلاد الاقتصادية و الثقافية ، بسبب فساد الامن ، و اضطراب سير التجارة السودانية عبر الصحراء ، و تشديد علماء تنبكت ، و اضمحلال جامعتها . يقابل هذا ازدياد نفوذ الممالك الوثنية مثل سيغو (سجو) (٢) ، و خضوع بقايا الباشوات – الذين خلفهم الاحتلال المراكشى – لنفوذ ملوك سيغو الوثنيين . ثم ان الجماعات الاسلامية الصغيرة المبعثرة فى الاقاليم الوثنية ، عوملت معاملة أهل الذمة ، ففرضت عليهم الجزية ، و حرموا من تطبيق الشريعة الاسلامية ، و خضعوا لقوانين البلاد القائمة على العادات الوثنية . و استمرأ معظم أمراء المسلمين و قتذاك ، و من يلوذ بهم من النفعيين ، الحياة فى ظل هذا الركود ، ما عدا نفرا

Hodgkin, T. : "Islam and National Movements in (١) West Africa", *Africa*, *Journal of African History*, Vol. III, 1962, p. 323-4.

Wallis, J. R. : "Jihad Fi Sabil Allah, Its Doctrinal Basis (٢) in Islam and some Aspects, its evolution in 19th century West Africa", *Journal of African History*, Vol. VIII, No. 3, 1967, p. 400.

من أهل الصلاح والتقوى الذين كانوا يتطلعون الى ظهور مصلح ،
 يأخذ بأيري المسلمين ، وينقذ الدين من و هده (١).

تحقق هذا الاصلاح المرتقب على أيدي الفلان منذ مطلع القرن
 التاسع عشر الميلادي . وهنا تبدأ الموجة الاسلامية الثانية ، التي
 بلغت من القوة ، في خلال قرن واحد ، حدا يفوق ما بلغته الموجة
 الاسلامية الاولى ، في خدمة الاسلام ، والثقافة الاسلامية ، في غرب
 افريقية ، خلال سبعة قرون .

والمعروف أن القرن التاسع عشر ، شهد محاولات مخلصه في العالم
 الاسلامي ، للخروج بالمسلمين من حالة الركود ، واصلاح الاحوال
 عن طريق الدعوات السلمية ، أو الحركات التجديدية . وامتدت هذه
 المحاولات التجديدية كذلك الى بلاد السودان الغربي على أيدي
 المجددين من علماء الفلان . وتتمثل هذه الحركات الاصلاحية
 في ثلاث :

حركات الجهاد في بلاد المهوسا بزعامة عثمان بن فودي .

حركات مهدوية تمثلها حركة أحمدو لوبو (لب) وابنه شيخو
 أحمدو ، في بلاد ماسنة بين السنغال والنيجر .

حركة صوفية ، تتمثل في نشاط التجانية بزعامة الحاج عمر بن
 سعيد الفوتي في السنغال .

أما عن بلاد المهوسا ، حيث قامت الحركة الاولى ، فهي المروفة
 في الوقت الحاضر باسم : شمال نيجريا . والمهوسا اصطلاح يطلق على
 الشعوب التي تتكلم بلغة المهوسا (٢)

(١) - محمود كعت التيبكتي : تاريخ الفتاش في اخبار الدين و الجيوش
 و أكبر الناس ، ص ١٧ .

(٢) Boville, E. A. : The Golden Trade of the Moors, p. 220.

ونشأت في هذا الاقليم سبع ممالك عرفت باسم : هوسا بكوى ،
 أى : ممالك الهوسا السبع . وهى : دورا ، وكانوا ، وزاريا ، وغوبر ،
 وكتسنا ، وبيرام ، ورانوا (١)

كانت قبائل الهوسا على الوثنية . وفي القرن الرابع عشر الميلادى
 بدأت بعض التيارات الاسلاميه تفد اليها من ناحية الغرب على ايدى
 فقهاء مالى و هناك تيار اسلامى آخر وفد من الشمال ، على ايدى فقهاء
 المغرب ، من أمثال الفقيه المشهور : أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم
 المغيلي (٢) . و تيار ثالث مصدره بلاد برنوفى الشرق . و ثم تيار رابع
 وفد مع تجار جنى و تنبكت الذين كانوا يترددون على كانو و كتسنا ،
 أواخر القرن الخامس عشر و أوائل القرن السادس عشر ، ابان انتعاش
 تجارة ممالك الهوسا ، و استقرار أولئك التجار فى هذه البلاد ، و القيام
 على تدريس الدين الاسلامى ، و نشر المذهب المالكي (٣)
 و ساعد على ازدياد قوة التيار الاسلامى فى القرن السادس عشر ، خضوع
 امارات الهوسا لمملكة سنغى . و بعد سقوط هذه المملكة ، و خضوع
 تنبكت للمراكشيين ، اجتذب بلاط كل من كانوا و كتسنا ، كثيرا من
 علماء الفارين ، حيث وجدوا الحماية و التشجيع و الضيافة (٤)

ولكن على الرغم مما بذل من جهود لنشر الاسلام فى بلاد الهوسا ،
 فان الاسلام لم تغلب على هذه البلاد . وظلت بها جاليات وثنية حتى
 القرن التاسع عشر الميلادى (٥) و لم يلبث بعض ملوك الهوسا أن

(١) نفس المصدر

(٢) Hunwick, J. O. : "Religion and State in the Songhay Empire", *Islam in Tropical Africa*, p. 305.

(٣) Waldman, M. R. : "The Fulani Jihad," *Journal of African History*, Vol. IV, 1965, p. 333.

(٤) حسن أحمد محمود ، الاسلام و الثقافة العربية فى افريقيا ٢٥٧ -

(٥) Waldman, : op. cit.

تحولت حماسهم للإسلام و الثقافة الإسلامية ، الى فتور تام . فلم نعد نسمع شيئا عن نشاط إسلامي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد حتى قيام الفلان بثورتهم الإصلاحية في القرن التاسع عشر الميلادي .

وتعرضت بلاد الهوسا في القرن الثالث عشر الميلادي لهجرات سلمية ، كان لها أعمق الأثر في تاريخها ، وهي هجرات شعب الفلان الذين قدموا من أوطانهم الأصلية في فوتاتورو ببلاد السنغال . وانقسم المهاجرون فريقين : فريقين : فريق سكن المدن و عرف باسم : (فلاني جدا أي : المختلطن ، أو المهجنين ، لاختلاطهم بقبايل الهوسا عن طريق المصاهرة (١) . و هؤلاء اعتنقوا الإسلام وأخلصوا له . أما الفريق الآخر ، فمن البدو الذين لم يختلطوا بقبايل الهوسا ، و عرفوا باسم : (بروروجي) ، أي رعاة البقر ، واحتفظوا بدينهم الوثني . وفي أواخر القرن الثامن عشر غدا عنصر الفلان جدا عنصرا هاما بين سكان بلاد الهوسا . ووصل كثير منهم الى أعلى مناصب الدولة ، بفضل مواهبهم واستعدادهم الذهني (٢) .

وزعيم الحركة الإصلاحية ببلاد الهوسا في القرن التاسع عشر الميلادي هو عثمان بن فودي (٣) .

ينتسب عثمان بن فودي الى شعب الفلان الذين خرجوا من موطنهم الاصل في فوتاتورو ببلاد السنغال ، في القرن الثالث عشر

(١) Fage, J. D. : An Introduction to the History of West Africa, p. 35.

Boville, E. A. : The Golden Trade of the Moors., p. 224;

Bivar, A. D. D. H. : Wathiqat, J. A. H. : Vol. II. (٢) P. 235

(٣) عرف باسم "عثمان دان فوديو" ، أي : ابن الفقيه ، و اسمه عثمان ابن محمد بن عثمان بن صالح . و من ألقاب التشریف التي تلقب بها نور الزمان ، و مجدد الإسلام والشيخ .

الميلادى . واستقرت أسرته في بلاد الهوسا ولد عثمان بن فودى حوالى سنة ١٧٥٤م في احدى قرى مملكة غوبر (جوبير) ونشأ عثمان في بيئة دينية ، اذ اعتنق أجداده الاسلام من زمن بعيد ، واشتغل أبوه وأفراد بيته بالعلم . وتلقى عثمان دروسه الدينية الاولى على يد أبيه محمد وأمه حواء وجدته رقيه

درس علوم العربية والفقہ و الحديث على يد علماء عصره ، في بلاد الهوسا وفي أغادس . ولعل أقوى أساتذته ، تأثيراً فيه ، هو جبريل بن عمر (١) .

ثم رحل عثمان الى الحجاز ، وهناك تأثر بالمبادئ الوهابية وهي المبادئ التي أيقظت في اصلاح احوال المجتمع في بلاده ، ومحاربة البدع والخرافات التي تفشت في بلاد الهوسا ، حيث اختلطت تعاليم الاسلام العادات الوثنية ، وارتد بعض المسلمين عن دينهم (٢) .

و في سنة ١٧٧٥م بدأ عثمان بن فودى رسالته ، كما بدأها الوهابيون : دعوة الى الدين بالمو عظة الحسنة . ويبدو من منهجه في الاصلاح ، رغبة في العودة بالمجتمع الاسلامى الى بساطته ونقاوته الاولى زمن الراشدين . فأخذ يدعو الى احياء الشريعة الاسلامية المستمدة من القرآن والسنة والاجماع (٣)

ولما زاد عدد أتباعه ، ومريديه ، رأى أن ينتقل الى المرحلة الثانية و فكر في الاتصال باحدى الملوك ليشد من أزره فلجأ إلى أقوى ملوك الهوسا — وهو وقتذاك — الملك نافتا ملك غوبر ، وكان لا يزال على الوثنية ، وشرح له الاسلام الصحيح ، وطلب اليه السماح باحياء معالم الدين ، واقامة العدل بين الناس . فاستجاب له — أول

(١) Waldman : op. cit., p. 337.

(٢) آدم عبدالله الالورى — الاسلام في نيجريا ، ٣١ .

(٣) Wallis, J. R. : J. A. H., VIII, No. 3, 1967, p. 408.

الامر - وأسند اليه الفتوى والارشاد بمجلسه و ديوانه (١) . غير أن بعض العلماء الحاقدين قاموا يعيرونه لاتصاله بالملك ، و يتهمونهم بالرياء والسعى الى الجاه والسلطان، وشوا به عند الملك (٢) و وقعت بينهما جفوة ، سافر بسببها اشيخ الى بلاد زمفرة و كبي ، حيث قضى خمس سنوات في الدعوة الى الاسلام ، فاعتنقه على يديه عدد من الوثنيين ، كما تاب على يديه عدد من المرتدين .

واضطرب الملك نافتا ملك غوبر من ازدياد عدد أنصار الشيخ ، واشتد غيظه ، فأصدر قرارا يقضى "بأن من كان أبوه مسلما ، يمكنه الاحتفاظ بدينه الاسلامي ومن لم يكن يكن أبوه مسلما ، فعليه أن يعود الى الوثنية : دين آباءه وأجداده (٣)

و أثار هذا القرار ثائرة الشيخ وأنصاره ، و بدأوا يستعدون للهجرة ، والجهاد في سبيل الله ، والدفاع عن الدين . ولما توفي نافتا ، خلفه ابنه الملك يونفا على عرش غوبر . وعلى الرغم من أنه كان تلميذا للشيخ عثمان ، فقد كان لا يقل عن أبيه انتصارا للوثنية . و رأى الملك يونفا في ازدياد قوة الشيخ وكثرة أنصاره ، خطرا يهدد عرشه فدبر مامرة لاغتياله . وأدى فشل الملك في التخلص من الشيخ ، الى ازدياد عدد أنصاره وتلاميذه ، وغدا في نظر معاصريه بطلا قوميا (٤)

طلب الملك من الشيخ مغادرة البلاد وحده ، حتى لا يؤلب عليه رعاياه ، و ينتقص من سيادته . و في شهر فبراير سنة ١٨٠٤ م ، خرج الشيخ عثمان بن فودي في صحبة فريق من أتباعه المخلصين مهاجرين

(١) آدم عبدالله الالورى : السلام في نيجيريا ، ص ٣٨ .

(٢) المصدر السابق -

(٣) Smith, M. G. : "The Jihad of Shehu Dar Fodio", *Islam in Tropical Africa*, p. 415.

(٤) Boville, E. A. : op. cit., p. 225.

الى بلدة جودو على أطراف الصحراء و نادى الشيخ فى أنصاره معلنا الهجرة من دار الكفر الى بلدة جودو على أطراف الصحراء (١).

وفى شهر يونيو من نفس العام ، أحرز أنصار الشيخ عثمان نصرا على ملك غوير و حلفائه من الطوارق . و استجابت له عشائر الفلان من البلديين و الرعاة ، و قدموا الى مسجده ، للانضمام الى جيشه ، و تأييد دعوته . و بايعوه على الجهاد أو الموت ، و طاعة الله و رسوله ، كما بايعوه بامرة المؤمنين (سار كينى مسلمن) (٢)

أعلن الشيخ الجهاد ، و عقد اللواء لاربعة عشر من أصحابه . و أثارت هزيمة ملك غوير الهلع و الخوف فى بلاد الهوسا ، و حرض الملك ملوك الهوسا على قتال الفلان (٣) و تكررت محاولات الفلان للاستيلاء على مدينة الكالاوا عاصمة غوير ، و قبل أن تسقط فى أيدي الفلان سنة ١٨٠٨ ، استولوا على ممالك زاريا (٤) ١٨٠٤ م) و كتسنا و كانوا (١٨٠٥ م) (٥) . و بعد سقوط غوير لم تبق فى ممالك الهوسا قوة تستطيع الصمود فى وجه الفلان . و لم تكد تحل سنة ١٨١٠ م ، حتى كانت جميع ممالك الهوسا السبع قد خضعت لسلطان الشيخ عثمان بن فودى و جماعته (٥) .

و رأى الشيخ عثمان بن فودى أن تشمل حركته الاصلاحية بلاد برنو ، و قام الفلان بغزوها فى سنة ١٨٠٨ ، و استولوا على عاصمتها . ولكن الشيخ محمد الامين الكائى ، استطاع أن يصد جيوش الفلان ويخرجهم من برنو ، ماعدا بعض الاقاليم المتاخمة للحدود الغربية لبرنو ، فانها بقيت فى أيدي الفلان (٦) .

Smith, M. G. : op. cit., p. 415. (١)

Boville, E. A., op. cit., p. 225. (٢)

Ibid., pp. 225-6. (٣)

Smith, M. G., op. cit., 416. (٤)

Boville, E. A., op. cit., p. 226. (٥)

Fage, J. D. : op. cit., p. 35. (٦)

وهكذا أتم الفلان في سنة ١٨١٠ م ، آخر مرحلة من مراحل الجهاد ، وأسسوا امبراطورية اسلامية شملت جميع ممالك الهوسا القديمة . ورأى الشيخ عثمان أن يترك شئون الحكم والادارة لابنه محمد بلو ، وأخيه الوزير عبد الله بن فودي . فقسم البلاد بينهما ، وجعل محمدا على القسم الشرقي وعاصمته سكووتو ، وجعل أخاه عبد الله على القسم الغربي ، وعاصمته جواند و في اقليم كبي (١) . أما الشيخ عثمان ، فانه آثر التفرغ للدراسة ونشر الاسلام ، وتفقيه الناس في الدين ، واكتفى بالزعامة الروحية ، متخذًا سكووتو مقره الروحي . ولما توفي الشيخ عثمان سنة ١٨١٧ م ، بويع ابنه محمد بلو أميراً للمؤمنين (٢) .

واختلف الباحثون في تقدير حركة الجهاد التي تزعمها عثمان بن فودي . فيرى هوجبن أن الفلان (اتخذوا الدين وسيلة لنيل عرض الدنيا ، واستغلوه للتنكيل بملوك الهوسا الذين كانوا يضطهدونهم ، وينكرون عليهم حقوقهم) . ويزعم (أن الجهاد حركة قومية لقبائل الفلان - مسلمين ووثنيين - موجهة ضد الملك غوبر الذي قرر القضاء عليهم . وبعد انتهاء الجهاد عاد الفلان الوثنيون إلى حياة المراعى ، على حين أن العلماء وزعماء الفلان - وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن فودي استغلوا الدين لطرد الحكام القدامى ، واقتسام مناصبهم) (٣) .

لكن هذا القول لا يتفق وما نعلمه عن طبيعة الجهاد وأهدافه ذلك أنه كان محاولة صادقة للإصلاح وجهادا ضد الطغاة والمستبدين ، مهما كان جنسهم (٤) بدليل أن الجهاد ضم بين الهوسا و الفلان . و

(١) Boville, E. A., op. cit., p. 227.

(٢) حسن أحمد محمود : نفس المصدر ، ص ٢٩١

(٣) Hogben, S.G.: *The Mohammedan Emirates of Nigeria*, p. 110. cf., Smith, M. G. *The Jihad*, p. 409.

(٤) Smith, M. G. : *The Jihad*, p. 409.

باستثناء القادة وأصحاب الألوية ، فقد كان عدد المجاهدين من الهوسا لا يقل عن عدد المجاهدين من الفلان (١) . كان أحد أصحاب الألوية الأربعة عشر على الأقل من الهوسا (٢) . ثم أن جميع الفلان في بلاد الهوسا ، لم يشتركوا في الجهاد مع عثمان بن فودي . إذ حارب بعضهم في صفوف ملوك الهوسا ، على حين وقف البعض الآخر موقفا محايدا . والكثير من سكان البلاد الذين رأوا في الجهاد اعلاء لشأن الدين ، انضموا لحركة الجهاد ضد بني جلدتهم (٣) سواء أكانوا من الفلان أم من الهوسا .

لم تكن حركة الجهاد موجهة ضد الوثنيين (الكفار) فحسب ، ولكن ضد المرتدين والمستهترين من المسلمين الذين يخلطون بين الاسلام والوثنية . وقد أخذ الشيخ عثمان برأى الشيخ المغيلي - فقيه توات المشهور في القرن السادس عشر الميلادي - في تصنيفه من يجب على المسلمين جهادهم وقتالهم ، وهم : الكافر والمرتد عن الدين الاسلامي ومن يدعى الاسلام و يخلط بينه وبين الوثنية (٤) ومن ثم عامل ملوك الهوسا ، على قاعدة أنهم من الفريق الثالث ، يجب على المسلمين جهادهم . وأولى مراحل الجهاد ، كانت قولا معروفا وموعظة حسنة . و لما لم تجد الوسيلة الأولى ، لجأ الى المرحلة الثانية ففرض على أتباعه الهجرة ، عملا بقوله تعالى :

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن

(١) نفس المصدر

(٢) Allan Burns ، History of Nigeria, p. 46.

(٣) نفس المصدر

(٤) Smith, M. G. The Jihad, p. 414.

يعفو عنهم وكان الله عفوا عفورا ، و من يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله و كان الله عفورا رحيمًا(١)

وقد عدد محمد بلو في كتاب (انفاق الميسور) ثلاث حالات ، يجب على المسلمين فيها القتال ، و هي : طاعة أمير المؤمنين ، و الدفاع عن جماعة المسلمين ، و تخليص أسرى المسلمين من أيدي الاعداء (٢) . لقد لقيت حركة الاصلاح بزعامة الشيخ عثمان بن فودي مقاومة عنيفة من جانب ملوك الهوسا ، كما تعرضت لفقد بعض معاصريه من العلماء و الفقهاء و على رأسهم الشيخ محمد الأمين الكانمي . و المعروف أن الشيخ الكانمي كان من أبرز علماء عصره و ضحية اسلامية فذة و اتهم الشيخ الكانمي عثمان باستغلال الدين لتبيل عرض الدنيا .

و اذا كان الشيخ الكانمي سلم بوجهة نظر الجماعة الاسلامية و ضيقهم بخصوصهم ، فانه يجد في هذا الضيق ما يبرر قتالهم (٣) ، على حين أن الشيخ عثمان اتهم الكانمي و من لف لفه من العلماء و الفقهاء بالنفاق ، لتحيزهم لملوك الهوسا ضد جماعة المسلمين (٤) . وقد أوضح الشيخ عثمان بن فودي منهجه في الجهاد في وثيقة (٥)

(١) سورة النساء آيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

(٢) Smith, M. G. : *The Jihad*, p. 414.

(٣) Boville, E. A., op. cit. p. 230.

(٤) Wallis, J. R. : J. A. H., VIII, No. 3, 1867, p. 414.

(٥) نشرت هذه الوثيقة مصورة بالزنكغراف و معها ترجمة

انجليزية في :

A. D. D. H. Bivar : "The Wathiqat Ahl al-Sudan,

A. D. D. H. Bivar : "The Wathiqat Ahl al-Sudan,

A Manifesto of the Fulani Jihad", *Journal of African History*, II

No. 2, 1961, pp. 233—236.

أذاعها على جماعة المسلمين في بلاد السودان. وتعد هذه الوثيقة دستورا تلتزمه جماعة المسلمين. وشرح الشيخ في هذه الوثيقة، طاعة الجماعة لأمير المؤمنين و نوابه، و قواعد وجوب الهجرة على المسلمين، و التفريق بين دار الاسلام و دار الجرب، و التعريف بالكفار و من يجب على المسلمين قتالهم، و النهى عن قتال المسلمين أو استرقاقهم. و فيما يلي نص الوثيقة:

وثيقة أهل السودان و من شاء الله من الاخوان

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و محبيه و سلم تسليما الحمد لله الذى أنعم علينا بنعمة الايمان و الاسلام و هداانا بسيدنا و مولانا محمد عليه من الله تعالى أفضل التحيات و أزكى السلام أما بعد فهذه وثيقة من ابن فودى أمير المؤمنين عثمان الى جميع أهل السودان و الى من شاء الله من الاخوان فى البلدان.

و هى وثيقة نافعة فى هذه الأزمان فأقول و بالله التوفيق فاعلموا يا اخوانى أن الأمر بالمعروف و واجب اجماعا، و أن النهى عن المنكر واجب اجماعا و أن الهجرة من بلاد الكفار واجبة اجماعا و أن موالاة المؤمنين واجبة اجماعا و أن تأمير أمير المؤمنين واجب اجماعا و أن طاعته و جميع نوابه واجبة اجماعا و أن الجهاد واجب اجماعا و أن تأمير الأمراء فى البلدان واجب اجماعا و أن تأمير القضاة واجب اجماعا و أن تنفيذهم أحكام الشرع واجب اجماعا و أن حكم البلد حكم سلطانه اجماعا ان كان مسلما كان البلد بلد اسلام و ان كان كافرا كان البلد بلد كفر

(٢) و جيت الهجرة منه و أن قتال الملك الكافر الذى لا يقول لا اله الا الله أصلا واجب اجماعا و أن أخذ السلطنة منه واجب اجماعا و أن قتال الملك الكافر الذى لا يقول لا اله الا الله بسبب عرف البلد و لم يكن يدع الاسلام واجب اجماعا و أن أخذ السلطنة منه واجب

اجماعا وأن قتال الملك المرتد الذي خرج عن دين الاسلام الى دين الكفر واجب اجماعا وأن أخذ السلطنة منه واجب اجماعا وأن قتل الملك المرتد الذي لم يخرج عن دين الاسلام لكونه يدعى الاسلام و يخلط أعمال الاسلام بأعمال الكفر كملوك هوس غالبا واجب اجماعا وأن أخذ السلطنة منه واجب اجماعا وأن قتال المهملين من المسلمين الذين لم يكونوا تحت بيعة أمير من أمراء المؤمنين واجب اجماعا اذا دعوا الى البيعة وأبوا حتى يدخلوا في البيعة وأن تكفير المسلمين ببدع الاعمال حرام اجماعا وأن تكفير المسلمين بالمعاصي حرام اجماعا وأن المقام في بلاد الحرب حرام اجماعا وأن عدم الدخول تحت بيعة أمير المؤمنين و نوابه حرام اجماعا وأن قتال المسلمين الذين كانوا في بلاد الاسلام حرام اجماعا وأن أكل أموالهم بالظلم حرام اجماعا وأن استرقاق الاحرار من المسلمين حرام اجماعا سواء كانوا في بلاد الاسلام أو في بلاد الحرب و أن قتال الكفار أهل الامان حرام اجماعا و أن أكل أموالهم بالظلم حرام اجماعا وأن استرقاقهم حرام اجماعا وأن قتال جماعة المرتدين واجب اجماعا وأن أموالهم قتي و أن في استرقاقهم قولين المشهور المنع و لا يعص من فعله أن قلد من يقول يجوازه و أن قتال جماعة المحاربين واجب اجماعا و أن أموالهم قتي و أن استرقاقهم حرام اجماعا و أن قتال البغاة واجب اجماعا و أن أكل أموالهم بالظلم حرام اجماعا و أن استرقاقهم حرام اجماعا و يستعان بسلاحهم عليهم ثم يرد لهم و أن في أموال المسلمين المقيمون (كذا) ببلاد الحرب قولين الصحيح الجواز - و هنا انتهت وثيقة أهل السودان و من شاء الله من الاخوان بحمد الملك المنان مصليا ومسلما على المصطفى من نسل عدنان و على آله و أصحابه و جميع أهل الايمان .

الحمد لله رب العالمين

كتبه محمد ساعى بن أمير دورى اسحاق

ويرى المعتدلون من الباحثين المسلمين أن في حركة الجهاد محاولة مخلصمة لتنقية الاسلام مما علق به من شوائب ، و نشر الاسلام في هذا الجزء من افريقية (١) فنجح الفلان في نشر الاسلام في بلاد يوريا ، و تأسيس امارة الون الاسلامية ، و خضوعها لأمير المؤمنين في سكوٲو (٢) .

و كيفما كان الأمر ، فقد كان لهذه الحركة الاصلاحية أعظم الأثر في تثبيت دعائم الاسلام في شمال نيجريا ، حيث قامت امبراطورية اسلامية تلتزم في نظمها السياسية و حياتها الدينية ، و الاجتماعية ، بالأسس التي وضعها الشيخ عثمان بن فودي ، و هي الأسس التي تتمشى مع أحكام الشريعة الاسلامية .

و بعد وفاة محمد بلو بن الشيخ عثمان سنة ١٨٣٧م خلفه ابنه أبو بكر عتيق و هو الذي تتوارث سلالته عرش سكوٲر حتى العصر الحاضر ، متخذين لقب أمير المسلمين .

لم يقتصر أثر هذه الحركة الاسلامية على بلاد الهوسا في شمال نيجريا فحسب ، بل امتد أثرها فشمّل جميع الاقاليم الواقعة الى الغرب حتى بلاد فوتا تورو و فوتا جالون في الغرب .

ذلك أن معظم بلاد السودان غربى ممالك الهوسا في القرن التاسع عشره كانت تتقاسمها أربع ممالك ، و هي من الغرب الى الشرق : فوتا أو التكرور ، و كارتا ، و سيغو (سجو) ، و ما سنة .

تأسست مملكتا سيغو و كارتا الوثنيتان في القرن السابع عشر على أيدي الميارا الذين كانوا يتكلمون لغة الماندى ، و نجحوا في فرض الجزية على باشوات تنبكت (٣) .

(١) حسن أحمد محمود : نفس المصدر ، ص ٢٨٩-٢٩٢ .

(٢) Allan Burns, op. cit.

(٣) Fage, J. D., op. cit., p. 144.

أما إقليم ما سنة ، بين السنغال و النيجر ، فقد استقرت فيه بين الزراع من الماندنغو ، منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، طائفة من رعاة الفلان . و ظل أولئك الفلان طبقة منفصلة عن الماندنغو ، تحت حكم رؤساء منهم يعرفون باسم الديالو ، مع الاعتراف بسطان أباطرة مالي ، ثم أساكي سنغي ، ثم باشوات تنبكت ، و بعد سنة ١٦٧٠ خضعوا لمولك الميارا (البنابر) الوثنيين في سيغو (١)

كان الماندنغو ومعظم الفلان في ماسنة على الوثنية ، و ذلك باستثناء عدد قليل من الفلان الذي كانوا اعتنقوا الاسلام . و قدر لهذا الفرع من الفلان المنتشرين في إقليم ما سنة ، أن يضطلعوا بحركة اصلاحية جديدة ، للاخذ بيد المجتمع الاسلامي و العمل على نشر التقاليد الاسلامية . و زعيم هذه الحركة الاصلاحية الجديدة هو أحمد و لوبر (لب) . نشأ أحمد لوبر في أسرة مسلمة . و لما بلغ سن الشباب ، رحل الى مدينة جنى ، حيث تلقى على علمائها و فقهاءها دروسا في التفسير و الفقه . و لما اكتملت ثقافته الدينية ، نبتت في ذهنه فكرة محاربة الوثنية و القضاء على البدع الخرافات في ما سنة . فلما قامت الدعوة الاصلاحية في بلاد الهوسا بزعامة الشيخ عثمان بن فودي ، استجاب لها ، و شارك في الجهاد في بلاد الهوسا . حتى تحققت آمال المصلح الكبير .

ثم عاد أحمد لوبر الى وطنه ، ليقوم بما قام به الشيخ عثمان بن فودي في بلاد الهوسا (٢) ، و لكن مع اختلاف في الاسلوب . سلك أحمد و لوبر طريقا آخر للاصلاح ، و هو طريق المهدوية . ادعى أنه المهدي المنتظر ، و أنه مبعوث العناية الالهية لانتقاذ المجتمع الاسلامي ، و محاربة الوثنية . فانتشرت دعوته في ما سنة ، و قبلها الفلان ،

(١) p. 146. نفس المصدر

(٢) حسن أحمد محمود : نفس المصدر ، ص ٢٩٤

ووجدوا فيها فرصة لاعلاء شأنهم (١) و أدى اضطرهاد أحمدو لوبر وتلاميذه و مرديه على يد ملك الفلان في ما سنة ، و زعيم الرماة في جنى ، الى ازدياد ميل الفلان اليه و عطفهم على حركته . فاضطرب ملك الفلان و استنجد بملك سيغو لمساعدته في قمع الحركة . فأعلن أحمدو لوبر الجهاد . و على الرغم من تفوق العدو عليه في الرجال ، فانه تمكن من احراز النصر سنة ١٨١٠ م ، و تحرير ماسنة لأول مرة من سلطان ملوك المبيارا في سيغو ، و تأسيس مملكة اسلامية (٢) ، تمتد من تنبكت الى أعالي الفولتا . و اتخذ لنفسه لقب (أمير المؤمنين) ، و أسس عاصمة جديدة ، بالقرب من جنى ، أطلق عليها اسم (حمد الله) (٣) .

و عند ما تولى أحمدو لوبو حكم ما سنة ، كان معظم الفلان ، و كذلك قبائل المبيارا (البنابر) و البوزو ، على الوثنية ، فاعتنقوا جميعا الاسلام في ظل حكومته ، و تعلموا القيام بفرائضه . و سعى أحمدو لوبو الى توحيد الشعائر الدينية و انسجامها ، بالقضاء على الخلافات الناشئة بين علماء جنى ، و هدم المساجد الصغيرة و انشاء مسجد جامع فسيح (٤)

و نهج أحمدو لوبو في حكم الدولة نهجا يتمشى مع النظم الاسلامية القديمة ، من حيث الادارة ، و القضاء و لما توفي أحمدو لوبر سنة ١٨٤٤ م خلفه ابنه أحمدو شيخو ، ولكنه لم يعمر طويلا ، اذ توفي سنة ١٨٥٢ (٥) و بعدها غدت بلاد ماستة هدفا لحركة اصلاحية جديدة على يد فرع آخر من الفلان من فوتا السنغالية .

Fage, J. D., op. cit., p. 146. (١)

Fage, J. D., op. cit., 146. (٢)

Boville, E. A., op. cit., p. 228. (٣)

Trimingham, J. S. : *Islam in West Africa*, p. 142. (٤)

(٥) حسن احمد محمود : ص ٢٩٦ .

كانت فوتا السنغالية مقرا للملكة الرابعة من ممالك السودان غربي بلاد الهوسا، وهي مملكة فوتا، سليلة مملكة التكرور القديمة، وسكانها الاصليون من التكلور و فوتا، هي الوطن الاصلى لشعب الفلان، منها خرجوا في موجات متعاقبة ناحية الشرق، حتى وصلوا بلاد الهوسا. والمعروف أن الاسلام دخل بلاد التكرور منذ أيام المرابطين. وتعمق التكرور في فهم الاسلام، والتزام أحكامه و شعائره. ومن هذه البيئة، انطلقت الحركة اصلاحية الثالثة، التي نهض بها التكارير (الفلان)، بزعامة الحاج عمر بن سعيد الفوقى (١)

ولد عمر بن سعيد حوالى سنة ١٧٩٨م في قرية حلوار في اقليم فوتا تورو ببلاد السنغال. وأنشأه أبوه نشأة دينية، فحفظ القرآن. وقبل أن يبلغ الثلاثين من عمره، كان قد تبخر في العلوم الاسلامية. وفي سنة ١٨٢٠م رحل الى الحجاز لتادية فريضة الحج،، وزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم. وهناك التقى بسيدى محمد الغالى، أحد خلفاء احمد التجانى، فلازمه مدة ثلاث سنوات، أخذ عنه أثناءها الا ذكار و الاسرار، و نظمه في سلك أهل الطريقة التجانية. ثم من الله عليه بأن جعله خليفة في بلاد السودان الغربى، وأمره بدعوة الخلق الى الله (٢). وفي طريق عودته الى بلاده مر بمصر، حيث التقى بكثير من عليّة المصريين والشاميين. ثم مر ببلاد برنو. وفي سنة ١٨٣٣، نزل سكووتو، حيث قضى خمس سنوات، ضيفا على أمير المؤمنين محمد بلو. ونشأت بين الحاج عمر وبين الشيخ محمد بلو صلات المودة و الأئاء، وارتبطا برباط المصاهرة. فتزوج الحاج عمر من ابنته. و تأثر الرجلان بعضهما ببعض. اذ وفق الحاج عمر في تسليك الشيخ محمد بلو الطريقة التجانية (٣) وقرأ الحاج عمر،

(١) Fage, J. D., op. cit., p. 146.

(٢) محمد الحافظ التجانى : الحاج عمر الفوقى، ص ١٣ .

(٣) Jamil Abun Nasr : "Some Aspects of the Umari Branch of the Tijaniyya", *Journal of African History* III, 1962, p. 339.

مؤلفات من مبادئه ، ولا سيما ما يتصل منها بمراحل الجهاد ، والتفريق بين دار الاسلام ، و دار الحرب ، وتصنيف الذين يعتنقون الاسلام ، ثم يظاهرون الكفار ، و بيان جواز قتالهم . و هي جميعا مبادئ سوف تنعكس على الحركة الاصلاحية التي سوف يضطلع بها فيما بعد .

عاد الحاج عمر الى موطنه في بلاد فوتا ، بعد أن تشرب مبادئ الاصلاح ، و استقر في بلدة كنعن مدة سنتين يعظ المسلمين و يدعوهم الى التمسك بالكتاب و السنة ، يدعو الوثنيين الى اعتناق الاسلام . ثم رحل الى بلاد فوتا جالون ، أنشأ رباطا للعبادة الروحية و التدريب على الحرب و الجهاد (١) . و انهال عليه الانصار و المریدون ، و شد اليه الطلاب الرحال . و في سنة ١٨٤٨ م ، كانت قوة الحاج عمر تمت نموا أزعج إمارة التكرور و أظهر أميرها عداً صريحاً نحو الحاج عمر بسبب تزايد قوته ، و حصوله على الاسلحة من سيراليون (٢) .

و من ثم أعلن الحاج عمر الهجرة ، و رحل باهله و أنصاره الى موضع أسمه دنجر اي حيث أسس قلعة حينه (٣) كما أسس أول مسجد في هذه البلاد . و أخذ يدعو المسلمين الى التمسك بالشريعة ، و يدعو الوثنيين الى اعتناق الاسلام ، فاقبل عليه من هؤلاء و أولئك خلق كثير (٤) .

ثم أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الممالك الوثنية ، و بدأ بغزو مملكة البنابر (المبارا) في كارتة مركز الوثنية سنة ١٨٥٠ م و استولى على مونيا و كونيا كاري ، و جعل مقره العام في نيورو ، و دانت له البلاد بالطاعة . و قدم عليه بعض زعماء البنابر للدخول في الاسلام .

(١) Fage, J. D., op. cit., p. 410.

(٢) Willis, J. R., op. cit., p. 147.

(٣) Fage, J. D., op. cit., p. 147.

(٤) محمد الحافظ التجاني : الجاح عمر القوني ، سلطان الدولة التجانية

فأزال عنهم شعار الكفر وألبسهم شعار الإسلام بعد النطق بالشهادتين ،
وأمر أصحابه بالانتشار في القرى لإقامة دين الإسلام (١).
ثم حاول الحاج عمر أن يحظى بمعاونة إمارة الفلان في ماسنة
للتقيام بهجوم مشترك على مملكة سيغوا الوثنية . ولما لم يستجب الأمير
أحمد أمير ماسنة لدعوته ، اتجه الحاج عمر ناحية الغرب ، وقام
بهجوم على مدن خسو و جلم و هي إمارات صغيرة قامت في السنغال
الأوسط ، ولاءً إليها الفاروق من مملكة المبيارا في كارته . غير أن نشاط
الفرنسيين الذين بدأوا يتدخلون في شؤون هذه الأقاليم بين سنتي ١٨٥٧ -
١٨٥٩ م ، حال دون تقدم الحاج عمر ، فاتجه مرة ثانية ناحية الشرق
لفتح مملكة سيغوا الوثنية (٢). و تغلبت جيوش الحاج عمر على
جيوش سيغوا في كثير من المواقع ، ولكنها كانت تلقى مقاومة عنيفة
في بعض المعارك بسبب تعاون جيش الأمير أحمد بن أحمد أمير ماسنة
الإسلامية مع جيش علي بن منز ملك سيغوا الوثنية (٣). فقد استعان
سيغو بالأمير أحمد بن أحمد حين أحس بالضعف أمام المجاهدين تحت
راية الحاج عمر (٤) وتوسع ملك سيغو في بذل الاماني لأمير ماسنة ،
وأرسل إليه هدايا قيمة . فأمدّه الأمير أحمد بجيش من المسلمين ، اختلط
مع جيش ملك سيغو الوثنيين في محاربة جيش الحاج عمر (٥).
وهنا ينشأ موقف مشابه لما حدث بين الشيخ عثمان بن فودي ،
وبين الشيخ محمد الأمين الكانمي صاحب برنو ، من حيث نشوب القتال
بين قوتين إسلاميتين . وتتضح في ثنايا الرسائل المتبادلة بين الأمير
أحمد بن أحمد و الحاج عمر ، حجج الطرفين للموقف الناشئ بينهما .

(١) المصدر السابق .

(٢) حسن أحمد محمود : نفس المصدر ، ص ٣ و أنظر

(٣) محمد الحافظ التجاني ، نفس المصدر ، ص ٢٩٩ .

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق

أرسل الأمير أحمد بن أحمد الى الحاج عمر ، خمس رسائل .
 وصلت الرسالة الاولى أثناء غزو الحاج عمر لمملكة البنابر في كارته .
 ووصلت الرسالة الثانية ، أثناء مقامه في سابشرى ، و وصلت الرسائل
 الثلاث الاخيرة أثناء مقامه في بلدة سنسند بمملكة سيغو (١) .

و تنضمن رسائل الامير أحمد بن أحمد تحذيرا للحاج عمر ، من
 غزو مملكة البنابر في كارته وسيغو ، لانهم بايعوه على الاسلام ، فيقول
 في احدى رسائله : (اما بعد فقد بلغنا على السنة الواردين بحيث صح
 لدينا أنك حلت سنسند ، ودخلتمها بعد ما بلغك و سمعت أنهم بايعونا
 و أنهم من سائر رعياتنا و الان أسلموا ، و كسروا الاصنام ،
 و بايعونا ، و كتبنا اليك هذا الكتاب لنعلمك بذلك ، و يكون أهل سنسند
 مبايعين) .

و في رد الحاج عمر على رسالة الأمير أحمد بن أحمد يؤكد
 بطلان البيعة ، و أن البنابر كفار يستحقون القتال . و منها قوله : (أما
 قولك في مبايعة أهل سنسند اياكم ، و كونهم ضمن رعاياكم
 فالجواب فيه ، انا ما سمعنا بهذه البيعة ثم سألناهم (البنابر) في
 حضرة رسلكم أيضا ، هل هم في بيعتكم ، أو لا ؟ فقالوا : لا . و الحق
 أننا أعطيناهم الاموال مداراة ، و خفنا من شتمهم علينا الاغارات) (٢)

و في رسالة بعث بها الأمير أحمد بن أحمد الى الحاج عمر يقول :
 (. . . . حتى أن كبير البنابر بل بن منز أخو علي بن منز ، أرسل رسله
 و أمناه ، أنه أسلم على أيدينا ، و تاب الى الله شكرا لا فخرا) (٣)

ولكن الحاج عمر رأى في اصرار الامير أحمد بن أحمد ، على
 مساندة الوثنيين ضد المسلمين قتاله . و من ثم بعث اليه رسالة يجذره

(١) Jamil Abun Nasr, op. cit., p. 330.

(٢) التجاني : نفس المصدر ص ٥—٨

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩

فيها. ومنها قوله: (. . . .) وان قتل من اختلط بهم وأعانهم وقواهم و حماهم على ما هم عليه من كفرهم فلا نستعيذ من قتاله، ولا من قتله، لأنه منهم بشهادة نص القرآن:

وفي رسالة أخرى يقول: "إذا أتاك كتابي هذا فاختر لنفسك احدى الخصميتين، أما الدخول تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك وإما أن ترحل عن تلك البلاد وتتوجه إلى أعداء الله فإنه أولى بك من اثاره الفتنة"، (١)

(يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) (٢)

وقبل أن ينهض الحاج عمر لقتال الامير أحمد بن أحمد، رأى أن يقيم عليه الحججة، ليبرر قتاله، ووجوب الجهاد ضده فأمر بنقل أصنام ملك سيغو وأوثانه، بعد الاستيلاء على بلاده وهروبه الى الامير أحمد بن أحمد، لما ادعى أنهم تابوا وكسروا الأصنام، ولا يدخل هذه المدينة مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، ويراها الا وليشهد على كذبه وعلى كفرهم) (٣)

ولما قدم الأئمة أحمد بن أحمد لمساندة الوثنيين. أمر الحاج عمر رجاله بقتالهم، و اشتد القتال، و انتهى الامر بقتل الامير أحمد بن أحمد، ١٨٦٢. وبذا امتدت امبراطورية الحاج عمر حتى بلغت حدود بلاد الهوسا في الشرق. (٤)

لقد اعتبر الحاج عمر تعاون الأئمة أحمد بن أحمد مع الكفار نفاقا (٧٠)، ومن ثم وجب جهاد المناققين، بنص القرآن.

(١) المصدر السابق، ص ٣٢

(٢) سورة التوبة، آية ١٢٣

(٣) التجاني: نفس المصدر، ص ١٢

(٤) المصدر السابق، ص ١٧

(٥) Jamil Abun Nasr, op. cit., p. 320; Wallis, op. cit., p. 412.

(يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم وماواهم جهنم
و بشئ المصير) (١)،

وبعد أن دانت له البلاد بالطاعة ، استولى على مدينة تنبكت
سنة ١٨٦٣ م ، و انصرفت همته الى نشر الاسلام في ممالك البنابر
(المبارا) في كارتة وسيغو.

ولكن لم يمض طويل وقت على خضوع هذه الممالك لحكم عمر ،
حتى أشعلت نار الثورة ، واستعانوا عليه بالشيخ البكاى أن يعينهم
عليه باجتماع كلمتهم على محاربتة ، و بوثائق يكتبها بيده و يرسلها الى
النواحي ، بتكفير الحاج عمر ، و يأمر من دخل في الاسلام من الكفار
على يد الحاج عمر بالخروج عن طاعته ، ويستتفر لهم الناس لحربه ،
سواء كانوا أهل كفر ، أو أهل اسلام . و وعدوه ان فعل ذلك و غلبوه
فانهم يؤمروه بامام عليهم . فأجابهم البكاى ، و نشبت الحرب من
جديد ، و توفي الحاج عمر سنة ١٨٦٤ م أثناء اخضاع أولئك الثائرين .

ونجح ابنه أحمد و بن عمر (حفيد السلطان محمد بلو) في أن يعيد
للبلاد و حدتها سنة ١٨٧٢ م ، و جعل مدينة سيغو عاصمة لدولته . بيد
أن تقدم الفرنسيين أطاح بحكمه ، إذ طاردوه حتى الى بلاد الهوسا حيث
توفي سنة ١٨٩٨ م .

كانت دولة التكرور ، التي أسسها الحاج عمر ، آخر الدول
الاسلامية ظهورا في غرب افريقية . و بعد هزيمة أحمد و غدا الطريق
ممهدا امام الفرنسيين لاحتلال البلاد ، و نشر النفوذ الفرنسى فيها
سنة ١٨٩٨ (٢)

أما عن مدى تأثير حركات الفلان الاصلاحية في غرب افريقية ،
أو بعضها بحركات اصلاحية أخرى او ثورات دينية ، خارج هذا النطاق

(١) سورة التوبة ، آية ٧٣

(٢) Fage, J. D., op. cit., p. 148.

السودانى ، ففى ذلك قولان :

أولهما : أن الشيخ عثمان بن فودى تأثر بالحركة الوهابية و بمبادئها فى الإصلاح ، و ذلك أثناء زيارته للحجاز و التقائه بدعاة الوهابية هناك (١)

غير أنه ليس هناك ما يدل على وجود صلة بين الحركتين ، أو أخذ احدهما عن الاخرى . وكل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد أن عثمان بن فودى أخذ عن الوهابية فكرة الثورة على حكومة اسلامية ، بقصد القضاء على المفسد ، و اصلاح أحوال المسلمين (٢) —

ثانيهما : ما ذكره بعض الباحثين الافريقيين بصدد علاقة الثورة المهدية فى السودان وادى النيل أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، بحركات الفلان الاصلاحية فى غرب افريقية أوائل ذلك القرن (٣) و خلاصته (أن حركات الاصلاح هذه ، أثرت تأثيرا فكريا واضحا فى الثورة المهدية فى سردان وادى النيل ، و ساعدت على قيامها . فقد كانت مؤلفات الشيخ عثمان بن فودى و أخيه عبد الله و ابنه محمد بلو ، و هى المؤلفات التى يربو عددها على مائتين وثمانين مؤلفا ، يتضمن بعضها الحديث عن المهدية و عن المهدي المنتظر حسبما ورد فى المصادر الاسلامية القديمة (٤) .

و اذا كان الشيخ عثمان بن فودى نفى عن نفسه صفة المهدوية فى كتابه (تحذير الاخوان) ، بعد ذيووعها على السنة بعض أنصاره ، فان

(١) أرنولد : الدعوة الى اسلام ، ترجمة ، حسن ابراهيم ، عبدالمجيد عابدين ، النخراوى ، ص ٣٧ .
(٢) Wallis, J. R. : *The Jihad*, op. cit.; J. A. H., VIII, No. 3, g. 400.

(٣) Saburi Biobaku and Muhammad Al-Hajj : "The Sudanese Mahdiyya and the Niger, Chad Region.", *Islam in Tropical Africa*, pp. 426-432.

Ibid. p. 427. (٤)

هذا لم يقض على اهتمام الناس بالحديث عنها ، و كانت آخر الشائعات تلك التي تقول : ان ظهور المهدي المنتظر سوف يكون في ناحية المشرق ، و علامة ذلك نشوب اضطرابات في ناحية المغرب . و على اثر نشوب بعض الاضطرابات في عهد أمير المؤمنين أبي بكر عتيق (١٨٣٧ - ١٨٤٢م) - حفيد الشيخ عثمان بن فودي - أخذت جحافل المهاجرين من الفلان تنزح ناحية الشرق ، الى السودان وادى النيل ، و الحجاز ، للقاء المهدي المنتظر .

استقر بعض أولئك المهاجرين من الفلان ، قرب كسلا و القصارف و سنار . و كان من بين أولئك المهاجرين من اقليم النيجر - تشاد - عبدالله بن محمد آدم . فاستقر بين قبيلة التعايشة و عرف فيما بعد باسم عبدالله التعايشي . و هو الذي التقى بمحمد أحمد و نبهه الى أنه المهدي المنتظر ، و بعد هذه الواقعة أعلن محمد أحمد الجهاد و المهديّة في السودان . و اذا أخذنا في الاعتبار دور الخليفة عبد الله التعايشي من قبل و مقابلته للمهدي ، و الدور الذي قام به هو و سكان الغرب و قبائله فيما بعد ، في تشييد دولة المهديّة ، فانه يمكن القول بأن المهديّة في السودان وادى النيل كانت تعبيرا لما يعتمل في عقول المجتمع الفلاني في اقليم النيجر تشاد ، من أفكار عن المهديّة (١) .

غير أنه لا يمكن التسليم بهذا الرأي و الرجوع الى وثائق هذا العصر في كل من السودان وادى النيل و نيجريا و دراستها دراسة تجلّي ما غمض من هذه العلاقات ان وجدت .

و من حسن حظ الدراسات الافريقية عموما ، يتصل منها بتاريخ انتشار الدعوة الاسلامية فيها خصوصا ، أن حركات الجهاد في غرب افريقية ، خلفت لنا عددا من المؤلفات ، بأقلام بعض زعمائها و

قادتها و تلاميذهم في شكل كتب أو رسائل صغيرة و جميع هذه المؤلفات مكتوب باللغة العربية — لغة الدبلوماسية في غرب افريقيا في القرن التاسع عشر، و باستثناء عدد قليل جدا من هذه المؤلفات أخذ طريقه الى النشر، فان معظمها لا يزال مخطوطا و مبعث في مكتبات جامعات نيجيريا و في السنغال، و المكتبة الأهلية في باريس. و يقوم بعض المهتمين بالدراسات الاسلامية في افريقية، في الوقت الحاضر، بنشر ما تيسر من هذه المؤلفات و الوثائق في مجلات :
 و فيما يلي ثبت ببعض تلك المؤلفات (١) .

عثمان بن فودي

- عدد الداعين الى دين الله .
- كشف البصيرة .
- القول المختصر في المهدي المنتظر .
- و بدأ تصل مؤلفاته الى أكثر من ٩ مؤلفا .

عبدالله بن فودي

- جودة السعادة .
- سبيل السنة .
- فضل العقل و العلم .
- و بدأ تصل مؤلفاته الى ٧٥ مؤلفا .

محمد بلو

- أحكام المخلفين .
- الاشاعة في حكم الخارجين من الطاعة .
- الترييح في صلاة التسبيح .

Smiths, F. C. : "Nineteenth Century Arabic Archives of (١)
 West Africa," J. A. H., Vol. III, 1962, pp. 333-6

- تعليق وجيز على المنظوم المرسوم بسلك جمان الدرر.
- جلاء الصمام في أمراض الاحوال و الاقوال و الهمم.
- رسالة في الامراض الشافية.
- الشبهة في التشبه بالكفرة و الظلمة و الجهلة.
- شمسية الاخوان.
- فتح الباب في ذكر بعض خصائص الشيخ عبدالقادر.
- كتاب في شأن الايضاح.
- كتاب في المفردات.
- كواكب الدرية في بعض مصطلحات الصوفية.
- المسائل المهمة.
- مصوغ اللجين في أمراض العين.
- النسرين فيمن بلغ من السن أربعين.
- النصائح و النبهات على مقاصد مهمات.
- نصيح كافرين و بالمقصود و اقين.
- نظم لعيسى جوج في علم المنطق.
- و بذأ يصل الانتاج الى أكثر من مائة.

الحاج عمر

- قصيدة في مدح الشيخ محمد أمين الكاتمي.
- ابراهيم (دابو) بن محمد (ت ١٨٤٥ م) أمير كانو.
- كف الاخوان عن التعرض بالانكار على أهل الامام.
- أحمد الرفاعي: (ت ١٨٧٣ م. الخليفة السابع في سكوتر):
- تنبيه الامة على ما عليهم من طاعة للائمة، و البيعة للخليفة على الكتاب و السنة.
- حامد بن عبد الكريم: فوتا جالون.
- قصائد كاتيجا.

- خضر بن جبريل الفلاقي (سكوتو)
 — منتخب الكلام في أمر المهدي الامام .
 دوما بن محمد نجليروما (ت . ١٨٣٠ ، برنو) .
 سعيد بن أبيهبي (سعدبو ، ت ١٩١٧ ، موريتانيا) .
 — (تاريخ) الشيخ الحاج عمر . . . بذكر بعض مناقبه وكراماته .
 عبدالله عال (أحد أنصار الحاج عمر ، ١٨٦٥) .
 — من تاريخ غزوات الحضرة العمريّة ثم غزوات الحضرة
 الاحمدية التجانية .

- عبد الله بن حامد (فوتا جالون)
 — قصيدة في قتال أهل بلما .
 — قصيدة في قتال بادو .
 عبدالرحمن بن محمد (تشاتشا ، ت ١٨١٨ ، نوب)
 — شعر بالنوب و العربي في الفقه و مدح النبي . (ص)
 عبدالقادر الحداو (ت ١٨٥٩ ، سكوتو)
 — أنيس المفيد في التعلق بمشايخنا القواد .
 بسط الفوائد و تقريب المفاسد .
 عبدالقادر مسدو (ت ١٩١٣ ، سكوتو)
 — تأنيس الاخوان .
 تبشير الاخوان . بأخبار الخلفاء في السودان
 على بن محمد (بن أبي بكر) نديام (ت . ١٩١٠ ، فوتا جالون) .
 — تاريخ فوتا جالون ، تاريخ الاب .